



تصحيح المفاهيم في السنة النبوية "نماذج وتطبيقات"

د. عبد السلام الهادي الأزهري

الجامعة الأسمرية الإسلامية

hesnawi41@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.
أما بعد..

فقد جاءت السنة النبوية لبيان الطريق المستقيم وهداية الناس وإرشادهم إليه، بطرق صحيحة ومسالك قويمه، والبعد عن الخطأ ما أمكن، غير أنه قد يعتري تلكم الطرق ما يمنع من الفهم الصحيح والتفكير السليم لمعرفة المراد من المتلقي.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾ فالسنة النبوية جاءت لبيان هذا التنزيل وتصحيح طرق الوصول إلى الله تعالى.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى الآتي:

- معرفة المنهج النبوي في تصحيح المفاهيم لدى الناس.
- الوقوف على الأساليب والوسائل التي رسمتها السنة النبوية في تصحيح المفاهيم.
- الاحتراز من الآثار التي يسببها عدم تصحيح المفاهيم.
- بيان موانع الفهم السليم

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المنهج النبوي في تصحيح المفاهيم؟
- ما الوسائل والأساليب التي سلكها في ذلك؟
- ما الآثار الناتجة عن المفاهيم غير الصحيحة؟



منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي: حيث قمت باستقراء الأحاديث من كتب السنة التي أشارت إلى قضية تصحيح المفاهيم منهجي في إيراد أحاديث البحث: إذا كان في الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما. إذا كان في غير الصحيحين أذكر الحكم من مصدره إن وُجد، وإلى ذكرته من حكم عليه من العلماء.

خطة البحث: قسّمْتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: عناية السنة بالتفكير السليم والفهم الصحيح.

المطلب الأول: وسائل الفهم الصحيح.

المطلب الثاني: تصحيح الفهم في ضوء الحقائق اللغوية والشرعية والعرفية.

المبحث الثاني: نماذج نبوية لتصحيح المفاهيم.

المطلب الأول: تصحيح مفهوم الظن.

المطلب الثاني: تصحيح مفاهيم المظاهر المادية.

المطلب الثالث: تصويب مقاييس تقييم الناس.

المطلب الرابع: تصحيح سياق المصطلحات حتى لا ينقلب فهمها.

ثم الخاتمة وضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

ثم قائمة المصادر والمراجع.



تمهيد

تعد قضية الفهم من أهم القضايا التي تتعلق بالمعرفة، فالمفهوم: كل ما يعتقده الإنسان بناءً على تصوره الخاص، وهو اسم مفعول من فهم، وهو أيضاً مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كَلَيْ (2). ويُعد تصحيح المفاهيم من النصيحة التي أوصى بها رسول الله ﷺ بقوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (3) فتصويب الأفكار والأعمال من الوقوع في الخطأ من النصح. أقصد بتصحيح المفاهيم في السنة النبوية: أن يبادر النبي ﷺ لتوضيح مسألة ما وقعت بحضرته أو بغيابه فيسأل عنها، أو مسألة يتوقع حصولها أو فهمت خلاف ما هو واقع.

المبحث الأول: عناية السنة بالتفكير السليم والفهم الصحيح.

اعتنت السنة النبوية بالتعليم والتفكير السليم بغية التخاطب مع الآخرين وفهم أفعالهم وأفعالهم والحكم عليها حكماً صحيحاً بعيداً عن التناقض والاضطراب. إن من أهداف البعثة النبوية التعليم المفهم الميسر، حيث يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَنِي مُعْتَبًا، وَلَا مُتَعْتَبًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيْسَّرًا» (4) واتخذت لذلك وسائل وأساليب أذكر منها:
المطلب الأول: وسائل الفهم الصحيح.

تعددت وسائل الفهم الصحيح التي أشارت إليها السنة النبوية، ويمكن ذكر أهمها في الآتي:
1 - حسن السؤال: يعد أسلوب الأسئلة من أهم وسائل تصحيح المفاهيم، حيث إن السؤال مطلوب لمن يريد التثبت من أمر يشك فيه أو يلتبس عليه، فحينما نسأل فنحن نطلب حصول الفهم، وإلقاء الأسئلة من أهم الوسائل التي يستخدمها المعلم لإثارة تفكير الآخرين وتعليمهم، فقد أخذت الأسئلة حيزاً كبيراً في السنة النبوية وتنوعت حسب الآتي:
أ - سؤال النبي ﷺ ابتداءً.

(2) ينظر أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/1749.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح55، 1/74.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ح1478، 2/1104.



ب - ابتداء الصحابة بالسؤال لأمر أشكل فهمه.

2 - حسن الجواب: وذلك لما يترتب عليه من فهم السائل، فكم من شخص أساء سمعاً فأساء إجابة⁽⁵⁾. ويلفتُ النبي ﷺ إلى قضية الفهم والوعي في التعامل مع أحاديثه حيث يقول: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاَهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»⁽⁶⁾.
فمراحل تكامل المعرفة تتطلب التدرج في الآتي:

أولاً: حسن الإصغاء والاستماع: إن حسن الاستماع للمتكلم يساعد على فهم مراده، ومتى حصل خلل في الاستماع حصل خلل في الفهم والأداء، وهذا ما يطلق عليه في مصطلح الحديث بـ(التحمل)، حيث شددت أئمة الحديث على اليقظة وعدم الغفلة في مجالس السماع، وشرطوا لذلك شروطاً كي يصح أداء الحديث ومن ثم فهمه، لأنه قد يقع الخلل في السماع ويستمر دون تصويب، فيؤدي ذلك إلى فهم غير صحيح.

فالإنصات الجيد يساعد في ترسيخ المفاهيم، وخاصة إذا كانت الجموع كثيرة، فعن جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»⁽⁷⁾ وذلك لينتبه جميع الحاضرين في تلك الحجة، وكما قيل: تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن المقال، ولا تقطع على أحد حديثاً⁽⁸⁾.

ثانياً: الوعي والفهم: وهي مرحلة مهمة من مراحل الفهم، فكم من سامع لا يفهم ما يسمعه، ومن ثم لا ينتفع به، فحضور التصور الصحيح والوعي لقضية ما يقطع الطريق أمام الاستشكالات والخلافات غير المثمرة، ومن أمارة الحكيم التروى في الجواب بعد استيعاب الفهم⁽⁹⁾.

ثالثاً: التكرار للحفظ والفهم: وهي خطوة تساهم في زيادة المعرفة والفهم الصحيح واستحضار ما يراد فهمه، فقد كان الصحابة يحفظون الأحاديث ويفهمونها ويؤدونها، وكذلك المحدثون من بعدهم كانوا يحفظون في صدورهم وكتبهم.

(5) ينظر الفاكهي، أخبار مكة، 3/350.

(6) أخرجه الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ح2658، 5/34. وصححه عبد الغني الأزدي والدارقطني وأبي نعيم وابن حجر، ينظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 7/331. موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، 1/365.

(7) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ح121، 1/35.

(8) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 1/95.

(9) المصدر السابق، 1/95.



ترجم الإمام البخاري: "باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه"⁽¹⁰⁾ وأورد فيه حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تُفهم عنه⁽¹¹⁾
قال ابن الجوزي في بيان طريق أحكام المحفوظ: "الطريق في أحكامه كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ، ليثبت معه المحفوظ، وقد قال النبي ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُوَ أَشَدُّ تَقْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»⁽¹²⁾. فالإعادة من الوسائل التي تسهم في فهم المراد، خاصة إذا خشي ألا يفهم عنه، فإعادته الكلام ثلاثاً إنما كان يفعله لأحد المعاني التالية:
أولاهها: أن يكون بحضرة من يقصر فهمه عن وعي ما يقوله، فيكرر القول ليبلغ في الإفهام والإسماع، إذ هو مأمور بالبيان والتبليغ.

ثانيها: أن يكون القول الذي يتكلم به نوعاً من الكلام الذي يدخله الإشكال والاحتمال، فيظاهر بالبيان لتزول الشبهة فيه ويرتفع الإشكال معه⁽¹³⁾.

ثالثها: ليُحفظ عنه، فيكون المراد بالفهم الحفظ⁽¹⁴⁾.

رابعها: التبليغ: وهو بدوره يساعد على توصيل المعرفة للغير وإفهامه، وهي خطوة مبنية على سابقاتها، فمن حسن استماعه وفهم المراد وحفظه فما عليه إلا البلاغ.

وهذا من الحرص النبوي في التعليم وترسيخ المفاهيم، وهذا نظير ما وقع في القرآن من تكرار القصص والأخبار والأوامر لإفهام الناس، وليتدبر السامع في المرة الثانية والثالثة ما لم يتدبر في الأولى، وليرسخ ذلك في قلوبهم، فلا بد إذن من التثبيت في فهم مدلولات الألفاظ، وهذا ما سأوضحه في المطلب التالي.

(10) صحيح البخاري، 30/1.

(11) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، ح95، 30/1.

(12) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاوده، ح5033، 6/193 ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، ص43.

(13) ينظر الخطابي، أعلام الحديث، 207/1، ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 172/1.

(14) ينظر ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 172/1. ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، 279/3.



المطلب الثاني: تصحيح الفهم في ضوء الحقائق اللغوية والشرعية والعرفية.

يختلف معنى اللفظ باختلاف استخدامه من حيث الدلالة اللغوية والشرعية والعرفية، فمراعاة الوضع والاستعمال والحمل لدى المتخاطبين مما يدفع وقوع الاشكالات في الأفهام.

ويمكن توضيح ذلك من خلال معرفة الدلالات الآتية:

أولاً: الوضع: وهو جعل اللفظ دليلاً على المعنى، وهو قسمين:

1 - وضع أولي: وهو الذي لم يسبق بوضع آخر ويسمى المرتجل.

2 - وضع منقول من معنى إلى آخر، وهو على قسمين:

أ- منقول لعلاقة وهو المجاز.

ب- منقول لغير علاقة، ويختص بالاسم المنقول، كتسمية الولد جعفر، والجعفر في اللغة النهر الصغير.

ثانياً: الاستعمال: هو التكلم باللفظ بعد وضعه وسواء أطلق على معناه الأول أو نقل عنه لعلاقة أو غير علاقة.

ثالثاً: الحمل: هو اعتقاد السامع لمراد المتكلم من لفظه، سواء أصاب مراده أو أخطأه.

فالاستعمال من صفة المتكلم، والحمل من صفة السامع، والوضع متقدم عليها.

فإذا أردت فهم معنى كلام فانظر في كل كلمة من حيث: معناها في اصطلاح هذا المتكلم، إن نحوياً، وإن شرعياً، فإن لم يذُك دليل على اصطلاح، فاللغة؛ لأن لكل أهلٍ فنٍ اصطلاحهم، فلا يحاكم أحدهما على الآخر، وذلك لأن الاستعمال كما سبق على ثلاثة أضرب: لغوي، وشرعي، وعرفي، واللفظ يكون حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر، وهو تصوير الحقيقة مجازاً، والمجاز حقيقة باختلاف الاستعمال، ألا ترى أن الدابة في اللغة حقيقة في كل حيوان، وفي العرف أهل مصر حقيقة في الحمار لا غير، وفي عرف أهل المغرب حقيقة في المركوبات كلها، وهي مجاز بالنظر إلى كل استعمال منها إذا أطلقت على سواه. وكذلك الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من الألفاظ الشرعية، لها معانٍ في اللغة، ومعانٍ في الشرع، وهي بالنظر إلى الشرع حقيقة في المعاني الشرعية مجاز في اللغوية، وهي بالنظر إلى اللغة بعكس ذلك⁽¹⁵⁾.

وهذه القضية مهمة ترتكز على السبق في الفهم والوصول إلى نتائج صحيحة مفهومة، وقد ترجم

ابن حبان "ذكر البيان بأن العرب تتباين لغاتهما في أحيائها"⁽¹⁶⁾.

ومن الأمثلة على ذلك:

(15) ينظر ابن جزى، تقريب الوصول إلي علم الأصول، ص 55، 57.

(16) ابن حبان، المسند الصحيح، 242/8.

كلمة (الكذب) حيث تدل في اللغة على أكثر من معنى:

أ - نقيض الصدق: تطلق على الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواء فيه العمد والخطأ، وهو بهذه الصفة مذموم إذا وقع عمداً⁽¹⁷⁾.

ب - بمعنى "الخطأ في الاجتهاد": ومن الشواهد على ذلك:

- في حديث سلمة بن الأكوع: زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ، قَالَ: «مَنْ قَالَ؟» قُلْتُ: قَالَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأَسِيدُ بْنُ الْحُضَيْرِ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لِأَجْرَيْنِ ..»⁽¹⁸⁾ بمعنى أخطأ من قاله.

- عن الْمُحَدِّثِ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا بِالشَّامِ يُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ إِنَّ الْوَتَرَ وَاجِبٌ. فَقَالَ الْمُحَدِّثُ فَرَحْتُ إِلَى عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ فَأَعْتَرَضْتُ لَهُ وَهُوَ رَائِحٌ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَحْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ فَقَالَ عِبَادَةُ: كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتَحْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»⁽¹⁹⁾.

قال المنذري: "قوله: "كذب" أي أخطأ، وسماه كذباً لأنه يشبه في كونه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق، وهذا الرجل ليس بمخبر، وإنما قاله باجتهاد أذاه إلى أن الوتر واجب، والاجتهاد لا يدخله الكذب، وإنما يدخل الخطأ، وقد جاء "كذب" بمعنى: "أخطأ" في غير موضع"⁽²⁰⁾.
ويظهر أثر ذلك في تصحيح المفاهيم أن غياب فهم هذه المعاني يقود إلى الخلل، كيف لا، ومثل كلمة الكذب إذا أطلقت على أحدنا لم يقبلها وقد يستشيط غضبا من قائلها.

رابعا: الحقيقة والمجاز:

من المعاني التي قد تشكل في الفهم: عدم التفريق بين الحقيقة والمجاز، مما يضطر المتكلم بأن يوظف القرائن التي تساعد على معرفة المراد، حتى لا يبقى السامع في حيرة.

(17) ينظر ابن منظور، لسان العرب، 704/1. الفيومي، المصباح المنير، ص272.

(18) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ح6148، 35/8.

(19) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب الأمر بالوتر، ح276، ص123. وصححه ابن عبد البر في التمهيد، 288/23.

(20) ينظر المنذري، مختصر سنن أبي داود، 413/1.

ومن الأمثلة على ذلك:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ حَيْطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عَمَدْتُ إِلَىٰ عِقَالِ أَسْوَدَ، وَإِلَىٰ عِقَالِ أَبِيضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وَسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ، فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَعَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»⁽²¹⁾. وفي رواية: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ، مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ أَهْمَا الْحَيْطَانِ، قَالَ: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْفَقَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الْحَيْطَيْنِ»، ثُمَّ قَالَ: «لَا بَلَّ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ»⁽²²⁾.

وفي رواية: أُنزِلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ حَيْطُ الْأَبْيَضِ، مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ وَلمَ يَنْزِلُ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْحَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْحَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَلمَ يَزَلُ يَأْكُلُ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَهُ رُؤْيُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْني اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ⁽²³⁾.

وعدي حمل اللفظ على حقيقته اللسانية؛ إذ هي الأصل؛ إذ لم يتبين له دليل التجوز، ومن تمسك بهذا الطريق لم يستحق ذمًا، ولا ينسب إلى جهل، وإنما عنى بذلك النبي ﷺ أن وسادك إن غطى الخيطين اللذين أراد الله - وهما الليل والنهار - فهو إذاً وساد عريض واسع؛ إذ قد شملهما وعلاهما، ألا تراه قد قال على إثر ذلك: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»؛ فكأنه قال: فكيف يدخلان تحت وساد؟! وإلى هذا يرجع قوله: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْفَقَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الْحَيْطَيْنِ»؛ لأن هذا الوساد الذي قد غطى الليل والنهار بعرضه لا يرقد عليه، ولا يتوسده إلا قفا عريض، حتى يناسب عرضه عرضة، وإنما فعل هذا في ليل الصوم متأولا الآية، فجرى في ذلك على ظاهر الاسم المطلق، ولم يعتبره بما هو مضمن به من قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وقوله: "إن وسادك لعريض"، يريد إن نومك إذاً لطويل، كنى بالوساد عن النوم، لأن النائم يتوسده، والعرض في مثل هذا إذا لم يرد به خلاف الطول، كان معناه السعة والكثرة⁽²⁴⁾.

(21) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ حَيْطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، ح 28/3، 1916.

(22) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ حَيْطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، ح 26/6، 4510.

(23) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ حَيْطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، ح 28/3، 1917.

(24) ينظر الخطابي، أعلام الحديث، 3/1806.

فتبين مما سبق أن عدتياً أشكل عليه الفهم وتمسك بمطلق اللفظ، ولم يعتبر ما قُيدَ به، وهو قوله: ﴿مَنْ
الْفَجْرِ﴾، وقد وقع في الرواية الثانية: أنه لم يكن نزلَ قوله: ﴿مَنْ الْفَجْرِ﴾ فهذا مما يبسط عذره. فغدا
إلى رسول الله ﷺ فيبين له الأمر، وهكذا ينبغي أن يفعل كل من استشكل عليه شيء ما⁽²⁵⁾.

المبحث الثاني: نماذج نبوية لتصحيح المفاهيم.

المطلب الأول: تصحيح مفهوم الظن.

العلاقات بين الناس تصبح متماسكة ما لم يחדشها سوء الظن دون سبب يدعو إليه، فكثير من الناس
يتأذى نفسياً من هذا الأسلوب، الذي سببه سوء الفهم الذي لولا فقدان المفهوم الواضح لما حصل.
وقد نهى القرآن الكريم عن مثل هذا النوع من الظنون فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾⁽²⁶⁾ وحذر النبي ﷺ أيضاً من هذا النوع من الظنون فقال: «إِيَّاكُمْ
وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا
تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»⁽²⁷⁾.
ومن الأمثلة على ذلك:

عن صفية بنت حيي، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَرْوَرُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ
فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِيَ لَيْقَلِي⁽²⁸⁾ - وَكَانَ مَسْكُنَهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ،
فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أُسْرِعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ» فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا
سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»⁽²⁹⁾.

خطوات تصويب الظن:

(25) ينظر أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 3/149.

(26) سورة الحجرات: 12.

(27) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا﴾، ح 6066، 8/19.

(28) أي لأرجع إلى بيتي فقام معي يصحبي. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/96.

(29) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح 3281، 4/124.



1 - المسارعة في دفع اللبس: حيث إن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءاً، لما تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشى عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك؛ لأنهما غير معصومين، فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك، فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة، وتحسيناً للظن بهما، وتعليماً لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك.

2 - تحسين الظن: التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم⁽³⁰⁾. وقد ترجم أبو داود على هذا الحديث "باب في حسن الظن"⁽³¹⁾.

فما سبق يتضح أثر المنهج النبوي في ضبط تصورات المسلم تجاه أخيه.

المطلب الثاني: تصحيح مفاهيم المظاهر المادية.

كثير من الناس تستهويه المظاهر المادية المحسوسة دون المعاني والقيم، من هنا نجد أن النبي ﷺ ضرب لنا المثل في مثل هذه التصورات، لكي نعقلها ونصحح بها مفاهيمنا، ولكي لا تشغلنا عن ما هو أهم، وهو الانتقال من الإغراق في الماديات والانشغال عنها بالعمل الصالح، ولكي أقرب الصورة أكثر أذكر الأمثلة التالية:

المثال الأول: قول النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ»⁽³²⁾ وفي رواية: «إِنَّ الشَّدِيدَ لَيْسَ مَنْ غَلَبَ الرِّجَالَ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ»⁽³³⁾. وفي رواية أخرى: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فَيْكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ»⁽³⁴⁾.

مراحل تصحيح المفهوم:

(30) ابن حجر، فتح الباري، 6/604.

(31) أبو داود، السنن، 4/298.

(32) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح 6114، 8/28.

(33) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، ح 10156، 9/153 وإسناده صحيح.

(34) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ح 2608، 4/2014.



1 - استخدام أسلوب طرح الأسئلة: وهو من الأساليب التي يستخدمها النبي ﷺ في تغيير المفاهيم ليختبر أفهام أصحابه حول قضية قوة الغضب النفسية وما تحويه من إيجابيات وسلبيات.

أراد النبي ﷺ أن يصحح مسار هذا الفهم، والذي يدل عليه سبب ورود هذا الحديث، وهو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فُلَانٌ الصَّرِيغُ مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ: رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَعَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانُ صَاحِبِهِ»⁽³⁵⁾.

فالتعبير بـ«يَمْلِكُ نَفْسَهُ - غَلَبَ نَفْسَهُ» معاني واقعية نفسية تجسد الانتصار الحقيقي للنفس بعيداً عن المظاهر الخداعة التي توهي عكس ذلك، فالكثير اليوم يتظاهر بمثل هذه الماديات إلا أنها في أشكال متنوعة، فيدخل في شدة العشييرة وشدة الجاه التي يصرع بها كثير ممن ادَّعوا ذلك.

وهذا يعد من تصحيح المفاهيم التي اعتنت به السنة النبوية، والتي توجه المسلم إلى الانتقال من الاعتماد على المظاهر المادية إلى السلوك المعنوي الخُلقي، الذي يثمر ويوزن في الآخرة.

قال الباجي: "الصرعة: الذي يصرع الناس ويكثر منه، ولم يرد نفي الشدة عن الصرعة، فإنه يعلم بالضرورة شدته، وإنما أراد ﷺ والله أعلم أحد أمرين:

الأول: يحتمل أنه أراد أنه ليس بالنهاية في الشدة، وأشد منه الذي يملك نفسه.

الثاني: يحتمل أن يريد به أنها شدة ليس لها كثير منفعة، وإنما الشدة التي ينتفع بها الشدة التي يملك بها نفسه عند الغضب"⁽³⁶⁾.

فالنبي ﷺ أراد أن ينقل الرجال - خاصة أصحاب الشدة منهم - من الشدة التي قد تضر بهم إلى الشدة التي تنفعهم، فالنفي للمبالغة، وذلك بأن لا يفعل موجبات الغضب، فإنه إذا ملكها كان هو الشديد الكامل، لأنه قهر أكبر أعدائه وهذا من الألفاظ التي نقلت عن موضوعها اللغوي لضرب من المجاز والتوسع، وهو من فصيح الكلام وبلغه، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة من الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته، وعدم عمله بمقتضى الغضب كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه.

(35) أخرجه البزار في المسند، ح7272، 475/13. وحسنه ابن حجر، ينظر فتح الباري، 509/18.

(36) الباجي، المنتقى شرح الموطأ، 214/7.



وهنا ينبغي مناقشة هذه القضية المهمة في ضوء علم النفس، فكثير من الناس يظن أن المظهر الخارجي من قواه هي التي تحكم ويقاس بها، بينما التصور الصحيح هو تلك القوى الداخلية التي تضبط سلوك الإنسان فتجعله هادئاً بعيداً عن الانفعالات التي لا تنتج إلا قرارات خاطئة، وذلك بأن يملك نفسه ويقهرها عند ثوران الغضب وهيجانه، وأن لا يمكنها من العمل بغضبه، بل يجاهدها على ترك تنفيذه. فمقياس الناس اليوم في الشدة هو صرعة الآخرين وقهرهم، وهذا مفهوم خاطئ، فجاءت السنة وصححت هذا المفهوم، وأشارت إلى أن تلك قوة حيوانية، فهذا الشخص الذي يصرع اثنين الثور أقوى منه، وأقوى من أربعة من مثله، وكذا الحمار يحمل أكثر منه، فهي قوة بهيمية، فصَحَّ وعدل مقياس القوة في البشر بأنها قوة نفس، وقوة أخلاق، وقوة ضبط الأعصاب عند الغضب. وأما ذكر الصرعة فتنبه على معالجة النفس وقهرها؛ فإن ذلك أشق وأشد من معالجة المصارعة للناس، لأن النفس عدو خفي والذي يُصارع خصم ظاهر، ومعالجة العدو الخفي أشق من معالجة الخصم الظاهر⁽³⁷⁾.

المثال الثاني: قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»⁽³⁸⁾. في هذا الحديث يشير النبي ﷺ إلى قضية القيم والمظاهر، وأنه لا ينبغي للمرء أن يغرق في بحر الماديات والانخداع بها، وترك المعاني والقيم.

لم يقل: "لا ينظر الله إلى أقوالكم"، بل قال: «قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» لأن العمل يصدق القول، فلا يقبل الاتكاء على معيار الأقوال دون الأعمال المكتملة، فأراد النبي ﷺ أن يُصَحِّح ما قد يُفهم من ذلك. وهذا لا يعني أن المرء لا يهتم بنفسه ولا بتحسين مظهره، فقد جاء في السنة ما يدل بخلاف ذلك، وهو قول النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعَلُّهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَظْمُ النَّاسِ»⁽³⁹⁾.

ويتركز تصحيح المفهوم في هذا الحديث حول الآتي:

(37) ينظر ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، 117/2. عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، 157/1.

(38) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، ح2564، 1987/4.

(39) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح91، 93/1. وإنما ذكرت ذلك احترازاً من أنه قد يفهم عكس ذلك.



- 1 - إصلاح القلوب والأعمال، والحث على الاعتماد على النية وحسن القصد، وتحذير من الركون إلى صورة العمل.
- 2 - عدم جعل الهمة متعلقة بالبدن والمال على حساب القيم والأخلاق.
- 3 - أن من حسن عمله وصلحت نيته رضي الله عنه ونظر إليه وإن كان نحيف الجسم دميم الصورة فارغ اليد.
- 4 - من ساء عمله وفسدت نيته سخط الله عليه وأعرض عنه وإن كان كبير الجسم جميل الصورة كثير المال.
- 5 - انتقال المسلم من تصوره القاصر على الماديات والمقارنة بالغير، إلى الانضباط الشخصي والالتزام بالتقوى والصلاح⁽⁴⁰⁾.
- 6 - البقاء على هذا التصور يضر بصاحبه حتى لا يبقى له أجر.
- 7 - الإشارة بقوله: "صوركم" إلى قوة الأجساد، فكم من مغتر بجسده وقلبه خاو، ومما يؤكد هذه النتيجة قول النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَرْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»⁽⁴¹⁾ أي: لا قيمة له ولا قدر؛ إذ لا عمل له يوزن، فإن الأعمال هي التي توزن، أي صحتها لا أشخاص العاملين، وقد قال ﷺ في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هَلُمَّ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»⁽⁴²⁾.

هذا في جانب الصور، أما في جانب المال فإنه يكون خيرا لصاحبه إذا صحبه الإخلاص، وأنفقه في وجوه الخير، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «حُدِّ عَيْنَكَ نِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ اتَّبِنِي، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِي النَّظَرِ ثُمَّ طَاطَأَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُعْنِمَكَ، وَأَزْعِبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغَبَةً صَالِحَةً. قَالَ: فَفُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا

(40) ينظر ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، 276/7. ابن الملك، شرح المصابيح، 441/5.

(41) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح2785، 2147/4.

(42) أخرجه أحمد، ح3991، 110/4. وصححه أحمد شاكر. ينظر أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من

تلخيص كتاب مسلم، 359/7.



أَسَلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ زُعْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»⁽⁴³⁾

8 - صرف الهمّة إلى الاعتناء بأحوال القلب وصفاته؛ بتحقيق علومه، وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن مذموم الصفات، واتصافه بمحمودها؛ فإنه لما كان القلب هو محل نظر الله تعالى فحق العالم بقدر اطلاع الله تعالى على قلبه أن يفتش عن صفات قلبه وأحوالها؛ لإمكان أن يكون في قلبه وصف مذموم يمقتّه الله بسببه.

9 - أن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدم على الأعمال بالجوارح؛ لتخصيص القلب بالذكر مقدما على الأعمال، وإنما كان ذلك لأن أعمال القلوب هي المصححة للأعمال؛ إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلفه، مخلص له فيما يعمله⁽⁴⁴⁾.

المطلب الثالث: تصويب مقاييس تقييم الناس.

من الخلل في التصورات ما يكون متعلقا بموازين تقييم الأشخاص والنظرة إليهم، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على تصحيح ذلك وبيانه.

ومن الأمثلة على ذلك: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَّعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَّعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»⁽⁴⁵⁾

أراد الرسول ﷺ أن يعلم أصحابه مقاييس الرجال، وأنهم لا يوزنون ببيئاتهم ولا بأموالهم وإنما المقياس الذي ينبغي أن يحفظوه ويعملوا به هو ما اعتمده الحكيم بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁶⁾ أراد أن يعلمهم ذلك، فلم يلق إليهم الخبر إلقاء، وإنما استخرج خطأهم في الحكم، ثم جهلهم ليقع المقياس في نفوسهم كل موقع، ويتمكن منهم فضل تمكن⁽⁴⁷⁾.

- بدأ باستفهامهم.

(43) أخرجه أحمد في المسند، ح 17763 ، 29/298. وإسناده صحيح.

(44) ينظر أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 6/538.

(45) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ح 6447، 8/95.

(46) سورة الحجرات: 13.

(47) ينظر موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، 4/34.

- كان التصور موجودا لديهم فأراد النبي ﷺ تصحيحه.
- أن هذا المفهوم خاطئ في تصنيف الناس ومعاملتهم حسب مظاهرهم وأحوالهم المادية.
- أن النسب لا بد له من تقوى: لأنه «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»⁽⁴⁸⁾.
- استغلال الموقف الجماعي لمعالجة الفكرة.

المطلب الرابع: تصحيح سياق المصطلحات حتى لا ينقلب فهمها.

يستعمل بعض الناس مصطلحات في ظاهرها الحسن، وتكون في حقيقة الأمر استعملت في غير سياقها، فتحتاج إلى تصحيح استعمال السياق. حتى لا ينقلب فهمها. ومثال الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ، إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»⁽⁴⁹⁾. وفي رواية: «لَا تُسْمُوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ»⁽⁵⁰⁾.

سبب التسمية: سمّت العرب العنب بالكرم، لكثرة حملة، وسهولة قطافه، وكثرة منافعه، وأصل الكرم: الكثرة⁽⁵¹⁾، وسمي العنب كرماً أيضاً؛ لأن الخمر المتخذة منه تحت على السخاء والكرم، فاشتقوا له منه اسماً، فكره النبي ﷺ تسميته لشيء حرّمه الشرع باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن أولى به، وأشفق أن يدعوهم حُسن الاسم إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم تحقيراً لشأنها وتأكيداً لحرمتها، وجعله صفة للمسلم الذي يتوقاها، ويمنع نفسه عن محارم الشرع عزة وتكرماً، ولذلك قال: «فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ» و«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ» لما فيه من نور الإيمان، وتقوى الإسلام⁽⁵²⁾.

(48) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح2699، 2074/4.

(49) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الكرم قلب المؤمن»، ح6183، 42/8.

(50) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كرماً، ح2247، 1763/4.

(51) أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 5/550.

(52) ينظر البغوي، شرح السنة، 12/356.



فأراد النبي ﷺ تصحيح هذه التسمية من خلال لفت النظر إلى القيم والمعاني دون المظاهر والتسميات، والنظر إلى ما يثمره معنى هذا الاسم في المسلم.

يقول الزمخشري: "أراد أن يقرر ويسدد ما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾⁽⁵³⁾ بطريقة أنيقة ومسلك لطيف، وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً، ولكن الإشارة إلى أن المسلم التقي جدير بالألا يشارك فيما سماه الله به"⁽⁵⁴⁾.

ويُحتمل أن المراد بالنهي: تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في ببقية هذا الاسم لها تقريراً لما كانوا يتوهمون من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً، وقال: «إِنَّمَا الْكِرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ» لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام، وسموا العنب كرماً لأن الخمر المتخذة منه تحت على السخاء وتأمراً بمكارم الأخلاق⁽⁵⁵⁾ حيث كانت طباعهم تحبهم على الكرم ونفوسهم مجبولة عليه، كره ﷺ أن يسمّى هذا الحرم باسمٍ وضع لمعنى يهيج طباعهم إليه عند ذكره، وَتَهَشُّ نفوسهم نحوه عند سماعه، فيكون ذلك كالمحرك على الوقوع في المحرمات، ولهذا ختم بقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْكِرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»، يعنى أن الكرم حبس النفس عن شهواتها وإمساكها عن المحرمات عليها، فهذه الحالة أحق بأن تسمى كرماً⁽⁵⁶⁾.

فظهر من تصحيح هذا السياق أن الأحق باسم الكرم المسلم، أو قلب المسلم، وذلك لما حواه من العلوم، والفضائل، والأعمال الصالحات، والمنافع العامة، فهو أحق باسم الكرم والكريم من العنب⁽⁵⁷⁾. وقد ترجم أبو داود على هذا الحديث: "باب في الكرم وحفظ المنطق"⁽⁵⁸⁾.

المثال الثاني: عن ابن عمر رضي الله عنها مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ، وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ»⁽⁵⁹⁾.

هناك من الكلمات ما قد تلتبس معانيها ومدلولاتها إلى العكس، بسبب عدم ضبط مصطلحها مما يؤدي إلى قلب مدلولاتها، وقد بينت السنة النبوية مثل هذه المصطلحات وعالجتها.

(53) سورة الحجرات: 13.

(54) ينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، 257/3. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 167/4.

(55) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 599/18.

(56) المازري، المعلم بفوائد مسلم، 191/3.

(57) ينظر أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 551/5.

(58) سنن أبي داود، 294/4.

(59) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم 6118، 29/8.



في هذا الحديث انقلب معنى الحياء لدى الرجل لذي يكلم صاحبه حتى دفعه ذلك إلى معاتبته، ولكي يتضح الأمر جلياً أذكر الجوانب التالية:

أولاً: تحديد معنى (الحياء): قال الراغب الأصفهاني: "الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان، وجعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزعه إليه الشهوة من القبائح، فلا يكون كالبهيمة، وهو مُرَكَّبٌ من جُبن وعفة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً، ولا الفاسق مستحياً، لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقلّ ما يكون الشجاع مستحياً والمستحي شجاعاً؛ لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة"⁽⁶⁰⁾.

والعتب لومٌ على الماضي، والنصح والوعظ والتذكير تنبيه على خير المستقبل، ودعوة إليه، وإنما كان الحياء - وهو في الأكثر غريزة - من الإيمان الذي هو اكتساب؛ لأن الحياء يمنع من المعصية كما يمنع الإيمان منها⁽⁶¹⁾.

ثانياً: الفرق بين الحياء والخجل:

(خجل) الخاء والجيم واللام أصل يدل على اضطراب وتردد⁽⁶²⁾ وهو معنى يظهر في الوجه، وأصل الخَجَل في اللغة الكسل والتواني وقلة الحركة، ثم كَثُرَ استعمالهم له، حتى أخرجوه إلى معنى الانقطاع في الكلام إلى التحير والدهش، فهو مأخوذ من الإنسان الخجل الذي يبقى ساكناً لا يتحرك ولا يتكلم⁽⁶³⁾.

والخجل: اضطراب مصحوب بالخوف والدهش والتحير، وهو يحصل للمرء عند شعوره بالعجز عن ملاءمة الواقع قبيحا كان أو جميلا، على حين أن الحياء هو الشعور بالشيء القبيح والاشفاق من مواقفته، والنفور عنه⁽⁶⁴⁾.

(60) الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص 207.

(61) ينظر القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 1/272. ابن حجر، فتح الباري، 1/160. موسى

شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، 1/137.

(62) ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/247.

(63) ينظر أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، 2/534. سلمة بن مسلم الصُّحاري،

الإبانة في اللغة العربية، 3/36. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 4/1682.

(64) ينظر ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، 1/502. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 1/523.



وينبغي التفريق بين الحياء والخجل، ومتى يكون محموداً ومتى يكون مذموماً، حتى لا تلتبس المفاهيم، فالحياء ممدوح إذا لم يجعله صاحبه حاجزاً بينه وبين الخير؛ لذا قالت عائشة رضي الله عنها: «نعمَّ النَّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»⁽⁶⁵⁾.

إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل، وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله أو حقوق عباده، فليس هو من الحياء، إنما هو ضعف وخور، وعجز ومهانة .

وقد يتولد الحياء من مطالعة نعم الله ورؤية التقصير في شكرها، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي، لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح، والأخلاق الدنيئة، فصار كأنه لا إيمان له، وفي ذلك يقول الجنيد: "الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق"⁽⁶⁶⁾.

يقول ابن حجر: "الحياء من الإيمان: وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سبباً لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد: "لا يتعلم العلم مستحي" وكأنه أراد تحريض المتعلمين على ترك العجز والتكبر لما يؤثر كل منهما من النقص في التعليم"⁽⁶⁷⁾.

(65) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ح332، 261/1.

(66) ابن القيم، مدارج السالكين، 249/2.

(67) ابن حجر، فتح الباري، 478/1.



الخاتمة

فبعد هذه الرحلة في ظلال هذا البحث، توصلت إلى نتائج وتوصيات جاءت على النحو التالي:

أولاً: النتائج

- أسلوب الأسئلة من أهم وسائل تصحيح المفاهيم، فقد استعملها النبي ﷺ كثيراً في مواطن مختلفة.
- تصحيح المفاهيم ابتداءً يُسهم في حل الخلافات ودرء المشاكل قبل تفاقمها.
- المبادرة في السؤال في موضع الشك مما يعين على فهم القضايا ومعالجتها.
- النبي ﷺ أحياناً هو من يبادر بتصحيح المفهوم تعليماً للناس.
- تصحيح المفاهيم التي اعتنت به السنة النبوية، والتي توجه المسلم إلى الانتقال من الاعتماد على المظاهر المادية إلى السلوك المعنوي الخُلقي.
- أن الأخطاء عموماً تنشأ من خلل في التصورات فإذا صح التصور قلّت الأخطاء.
- مراعاة السياق في استعمال المصطلحات له أثر في الفهم الصحيح، والسلامة من انقلاب المعاني.

ثانياً: التوصيات

- التركيز على طرح التساؤلات والتثبت في فهم المسائل قبل الحكم عليها.
- عقد ورش العمل والندوات حول تصحيح المفاهيم والتفكير السليم لما له من أثر إيجابي.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، فؤاد عبد المنعم، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، الطبعة: الثانية، 1412 هـ.
3. ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
4. ابن القيم، مدارج السالكين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
5. ابن الملك، محمد بن عز الدين، شرح المصابيح، الطبعة الأولى، إدارة الثقافة الإسلامية، 1433هـ، 2012م.
6. ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.
7. ابن جزى، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: د. عبد الله محمد الجبوري، دار النفائس، عمان، الطبعة: الثانية، 1433هـ/2012م.
8. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، الرسالة العالمية، بيروت، 1434هـ، 2013م.
9. ابن حجر، أحمد بن علي، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، حققه: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، 1414 هـ - 1993 م.
10. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
11. ابن رسلان، أحمد بن حسين، شرح سنن أبي داود، شرح سنن أبي داود، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، الطبعة: الأولى، 1437 هـ - 2016 م.
12. ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ.



13. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
14. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة 1414هـ.
15. ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417هـ.
16. أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، 1417هـ-1996م.
17. أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، (بلا، ط)، المكتبة العصرية بيروت، (ب. ت).
18. أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة - مصر، 1394هـ - 1974م.
19. أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م،
20. الأمير الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
21. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، المنتقى شرح الموطأ، الناشر: مطبعة السعادة - مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ.
22. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، القاهرة، 1422هـ.
23. البزار، أحمد بن عمرو، المسند، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 2009م.
24. البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
25. الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة النشر: 1998 م.
26. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، 1414هـ - 1994م.
27. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.



28. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، أعلام الحديث، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.
29. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة الى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو يزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام - القاهرة، عام النشر: 1428 هـ - 2007 م.
30. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1، 1420 هـ،
31. الزمخشري، محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث، المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.
32. الشيباني، أحمد بن حنبل المسند، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ/2001 م.
33. الصُّحاري، سَلْمَة بن مسلم، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبد الكريم خليفة وآخرون، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
34. عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
35. الفاكهي، محمد بن إسحاق، أخبار مكة، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 هـ.
36. الفيومي، محمد بن أحمد، المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت.
37. القاضي عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
38. المازري، محمد بن علي، المعلم بفوائد مسلم، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر، الطبعة: الثانية، 1988 م.
39. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.
40. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
41. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، مختصر سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.



42. موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار المدار الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2002 م.
43. موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م.
44. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
45. الهروي أبو عبيد أحمد بن محمد، الغريين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.